السنة: السادسة المجلد: 06 العدد: 01 ص ص:1140- 1159
ISSN 2543-375X EISSN2676-1645

جائحة كورونا "كوفيد 19" وأنماط الاستجابات الدولية بين مطلب التضامن وسياسات الانكفاء على الذات.

Patterns of International Responses to Corona Covid19 Pandemic: between Solidarity سلطان and the policies of self-reliance □

محمد الطاهر عديلة*، جامعة المسيلة
mohamedtahar.adila@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام2020/07/31 تاريخ القبول: 2020/10/30

ملخص:

تحاول هذه الدراسة استكشاف أنماط الاستجابات الدولية التي جابهت بها مختلف الدول فيروس كورونا "كوفيد 19"، منذ تفشيه في الصين في أواخر ديسمبر من العام 2019، وإلى غاية إعلانه، من طرف منظمة الصحة العالمية، جائحة عالمية في 11 مارس 2020. أجبرت التداعيات التي خلفها انتشار وتفشي الفيروس في جميع دول العالم استنفارا داخل الدول بفرض الحجر الصحي وغلق الأقاليم أمام حرية النقل والتنقل، وتسخير إمكانات الدولة المادية والبشرية وحتى العسكرية منها لمنع تفشي الفيروس والقضاء عليه.

وعلى المستوى الدولي تم تبني خيار العزلة الذاتية من طرف أغلب الدول، وانخفض مستوى العلاقات بينها إلى حده الأدنى في جميع المجالات. تباينت أنماط الاستجابة بين نزوع غالبية الدول إلى تبني سياسات انفرادية لمواجهة الجائحة، فرضتها طبيعة الفيروس وطريقة انتشاره وعدم الوصول إلى علاج أو لقاح مضاد له؛ وبين استجابات ذات طبيعة جماعية، قادتها المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية، وبعض المبادرات الدولية كقمة (G7)

* المؤلف المراسل

وقمة (G20)، والتي كانت دون مستوى مجابهة التهديدات والتحديات الهائلة التي خلفتها الجائحة.

الكلمات المفتاحية:

كوفيد 19– الجائحة – الصين – التعاون الدولي – الإنعزالية.

Abstract:

This study explores the patterns of international responses to Covid-19, since its outbreak in China in late December 2019, until the World Health Organization announced a global pandemic on March 11, 2020. The spread of the virus forced many countries in the world to impose quarantine and lockdown in order to restrict people's movement. Many countries have had recourse to all the financial, human, and even military capabilities of the country to prevent the spread of the pandemic. Moreover, some countries have isolated themselves internationally and minimised all relations and contact with the outside world in all domains. On the one hand, responses varied between the tendency of some countries to adopt unilateral policies to deal with the pandemic; this is imposed by the nature and spread of the virus as well as the failure to find a treatment or a vaccine.

On the other hand, there were responses of a collective nature, and this was led by international institutions such as the United Nations and the World Health Organization, and some international initiatives such as the (G7) and (G20) Summit, which were far from confronting the enormous threats and challenges created by the pandemic.

Keywords: Covid 19, Pandemic, China, International Cooperation, Isolationism.

مقدمة:

يعرف العالم منذ ما يزيد عن العشرة أشهر حالة غير مسبوقة من الاضطراب والشلل والخوف والترقب التي مست جميع مناحي الحياة الإنسانية دون استثناء، وفي جميع الدول تقريبا. وذلك جراء التفشي والانتشار السريع والهائل لفيروس كورونا "كوفيد 19" منذ تأكيد اكتشافه في أواخر ديسمبر من العام 2019 بمدينة "ووهان" الصينية، والتي أُعلنت فيما بعد مدينة موبوءة بفيروس كورونا، وتم إخضاعها إلى الحجر الصحي الكامل. لكن هذا الإجراء لم يمنع انتشار الفيروس في الصين، وأصبح عدد المصابين به بنهاية شهر فيفري يعد بعشرات الآلاف (حوالي 80 ألف مصاب)، وخارج الصين كان الفيروس ينتشر بسرعة رهيبة ويسجل أعدادا بالآلاف في كل من إيطاليا وإسبانيا، وبدرجة أقل في كل من ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة. ليتم تصنيفه وإعلانه "جائحة عالمية" من طرف منظمة الصحة العالمية في 11 مارس 2020. وحتى هذا التاريخ، كان فيروس كورونا كوفيد 19، أو المستجد كما يسمى، يمثل تهديدا أمنيا "محليا"، خاصة بالنسبة للدول السابقة الذكر، إلا أن انتشاره المذهل في الولايات المتحدة الأمريكية بنهاية شهر مارس (حوالي 168 ألف مصاب)، وتمدده في بقية دول العالم، جعل منه تهديدا وتحديا عالميا في الوقت نفسه، استوجب طرقاً وأشكالٍ شتى في أنماط الاستجابة والتعامل الدولي معه، سواء على مستوى كل دولة على حدة، أو على المستوى الدولي ككل.

الإشكالية:

تدور إشكالية هذه الدراسة حول السؤال التالي: كيف جابهت مختلف الدول، فرادى ومجتمعة، خطر فيروس كورونا "كوفيد 19"؟ وما العوامل التي تحكمت في تحديد أنماط المجابهة هذه؟

الفرضيات: اقتضت منا الإجابة على السؤال المطروح فحص الفرضيتين التاليتين:

1 -تجادل الليبرالية بأن عقلانية الدول وتعلمها المستمر من التجارب التي تمر بها تدفعها إلى التفكير بأن الأخطار والتهديدات الكبرى التي لا تستطيع أن

تواجهها كل دولة بمفردها تستوجب منها عملية التضامن والتعاون فيما بينها لصدها، وعليه تمثل جائحة كورونا "كوفيد 19" فرصة حقيقية لاختبار إمكانية تجسيد مطلب التعاون الدولي.

2 -يراهن الواقعيون على أن الأنانيات المتأصلة في الطبيعة الجوهرية للدول دائما ما تقودها، في حالة التعرض للخطر أو التهديد، إلى تبني استراتيجيات وسياسات "قومية" تنزع إلى الاعتماد والانكفاء على الذات، وتجعلها غير مستعدة لتقاسم إمكاناتها وقدراتها مع الآخرين لدرء هذا الخطر أو التهديد.

أولا: كورونا كوفيد 19: رقم آخر في لائحة التهديدات الوبائية المتزايدة.

لم يستغرق فيروس كوفيد 19 سوى أقل من شهرين حتى ينتقل من الصين ويتفشى في جميع دول العالم تقريبا، وأضحى بذلك جائحة عالمية حسب منظمة الصحة العالمية بتاريخ 11 مارس 2020. ويَعُدُّ العالمُ اليومَ، بتاريخ 2020/10/21، أكثر من 41 مليون إصابة بالمرض، وأكثر من 1,128,728 وفاة (https://bit.ly/3aQE9Ds)، مما يدل على أن الفيروس يتمتع بدرجة عالية من العدوى والعدائية.

وقد لعبت العولمة، بما تتيحه من تكنولوجيا ووسائل الاتصال والاحتكاك بين الأفراد والجماعات دورا بارزا في التفشي والانتشار السريع للفيروس وتحوله إلى جائحة عالمية. حيث أن تيسير عملية السفر عبر العالم قد فتحت آفاقاً جديدةً أمام تعارف وتقارب الشعوب والمجتمعات أكثر من ذي قبل، إلا أنها مهّدت الطريق كذلك أمام إمكانية انتشار الأمراض والأوبئة بشكل أسرع، ذلك أن المسافر المصاب بالمرض الفيروسي ينقله معه أينما حل وارتحل (ترفرتون، نيميث، سرينيفاسان، 2012، ص2).

لا يعتبر كوفيد 19 أول جائحة تهدد الوجود البشري، بل سبقتها جوائح كثيرة في الماضي بسبب الفيروسات، منها ما أدى إلى عشرات الملايين من الوفيات ومئات الملايين من الإصابات. ويبدو أن السجل التاريخي من الجوائح والأوبئة التي عرفتها البشرية لم يمنحها مناعة أو حصانة ضدها، بل ظلت الجوائح والأوبئة أحد أكثر الأخطار التي تهدد حياة الناس على الدوام. ويتمثل

الشق الأول من المشكلة في أن هذه الأوبئة لا يمكن التنبؤ بحدوثها مسبقا، وبالتالي الاستعداد الجيد والكامل لمواجهتها. ويتمثل الشق الثاني في صعوبة وعدم إمكانية التوصل إلى لقاح أو علاج في الوقت المحدد والمناسب قبل انتشار الفيروس وتحوله إلى وباء أو جائحة، الشيء الذي يجعل من الأوبئة والجوائح تهديدات مزمنة للبشرية.

لقد طرح الفيروس في بداية استفحاله في الصين وانتشاره خارجها، جدلا حادا بشأن مصدره، وكيفية انتقاله إلى البشر وتحوله إلى وباء حقيقي يهدد ملايين البشر في الصين وخارجها. حيث عرفت هذه الفترة سيلا من التصريحات والاتهامات المتبادلة بين الدول، خاصة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، وطفت إلى السطح نظريات المؤامرة الدولية. فالرئيس الأمريكي دونالد ترامب دائما ما وصف، في خطاباته، فيروس كورونا بـ"الفيروس الصيني"، ولام الصين على حجب المعلومات المتعلقة به، أو في التأخر عن الإعلان بتفشي وانتشار الفيروس. ومن جهتها، وجّهت الصين اتهاما مباشرا للولايات المتحدة في تسببها بنقل الفيروس ونشره في الصين عبر عدد من جنودها الذين كانوا متواجدين في مدينة "ووهان" الصينية (https://bit.ly/35mxiAB).

لكن بتصدر الولايات المتحدة الأمريكية للدول الأكثر تضررا بهذه الجائحة قَلَّت تصريحات الاتهام المتبادل، واختفت نظرية المؤامرة. فلم يعد هناك من شك في أن الفيروس قد نشأ بصورة طبيعية، حيث أشار العلماء إلى أن الطفرات في الفيروس "تتوافق تماما مع التطور الطبيعي". ووفقا لمجلة The Lancet، وهي مجلة علمية طبية بريطانية، فقد استنتج علماء من دول متعددة "أن الفيروس التاجي الجديد نشأ في الحياة البرية" (زكاوي، 2020، ص3).

وقد أثّر الفيروس بشكل سلبي على جميع مناحي الحياة الإنسانية، إذ يؤكد فرانك سنودن Frank Snowden أنه ليس هناك مجال رئيسي من حياة الإنسان لا يمكن أن يتأثر بشكل عميق جراء تفشي وانتشار الأوبئة التي تترك آثارا هائلة على الاستقرار الاجتماعي والسياسي. لقد حددت الأوبئة مآل

الحروب، ومن المحتمل أيضا أنها كانت من العوامل التي أدت إلى اندلاع الحروب في بعض الأحيان (الشرقاوي، 2020، الجزء الثاني، ص17).

إن فيروس كورونا لم يعد مشكلة الصين فقط، بل أضحى مشكلة عالمية بامتياز، لأن كل أولئك الموجودين بالقرب من المريض المصاب هم جميعهم حاملون محتملون للفيروس، وبالتالي فإن عملية السيطرة والتحكم في انتشار الفيروس وتفشيه أصبحت صعبة ومعقدة جدا وغير مضمونة النتائج، واعتبرت آثاره العالمية مثالا على مشاكل الأمن البشري في جميع الدول، وإن بدرجات متفاوتة (https://bit.ly/2Vp2Br7).

ففي مجال الأمن الصحي، كشفت هذه الجائحة أن السياسات والنظم الصحية الوطنية غير مصممة وغير مؤهلة للتعامل بكفاءة مع تهديد صحي خطير وغير معروف مثل كورونا كوفيد 19 (التير، 2020، ص34). وفي المجال الاجتماعي والنفسي والسلوكي، أجبرتنا الجائحة على إعادة التفكير بشكل أساسي في الطريقة التي نعيش بها، وفي كيفية ارتباطنا بالآخرين، وفي إعادة النظر في كل ما هو اجتماع بشري (https://bit.ly/2StsYdA). وفي المجال الاقتصادي، توقفت الكثير من المصانع، وأغلقت العديد من الشركات، وتهاوت أسعار النفط ومؤشرات البورصات، وتوقفت العديد من الموانئ، وشلت حركة الطيران الدولي، وتقلصت حركة التجارة الدولية ..إلخ.

وفي المجال السياسي والأمني، شكلت الجائحة عدوا مفاجئا لجل الأنظمة السياسية في العالم، واختبرت قدرتها وكيفية تعاملها مع ما تفرضه من تهديدات وتحديات في جميع المجالات التي ذكرناها سابقا. وعلى مستوى العلاقات الدولية، تراجعت العولمة لصالح القومية والقطرية، وانخفضت درجات الاعتماد المتبادل إلى مستويات دنيا، وحامت الشكوك حول قدرات بعض التحالفات والتكاملات الدولية في الصمود أمام أنانيات الدول وانكفائها على نفسها، رغم مبادئ وشعارات التضامن والتعاون الدوليين التي ترفعها (دول الإتحاد الأوروبي أنموذجا).

إن هذه التهديدات والتحديات والآثار التي خلفتها جائحة كورونا في جميع المجالات الإنسانية، قد فرضت على الدول أنماطا معينة من الاستجابة والتعامل معها، حددتها ظروف وأسباب متعددة، سنكتشفها في العنصرين المواليين.

ثانيا: التضامن والتعاون الدوليين لمواجهة كوفيد 19 أطروحات الليبراليين

كيف سيكون شكل العالم بعد نهاية كورونا؟ سؤال طرحته مجلة Foreign policy في 20 مارس 2020 على اثني عشر مفكرا ومنظرا بارزا في العلاقات الدولية من مختلف المدارس الفكرية، وقد أجاب جوزيف ناي الابن المحسوب على تيار الليبرالية الجديدة، بالقول أن من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن تتجاوز "استراتيجية منافسة القوى العظمى" التي أعلنها الرئيس ترامب في 2017 إلى استراتيجية جديدة تقوم على التعاون مع هذه القوى، ففيروس كورونا كوفيد 19 أضحى يمثل تهديدا أمنيا حقيقيا، ليس فقط للدول المتضررة منه في آسيا وفي أوروبا، بل للولايات المتحدة نفسها التي لن تستطيع أن تجابه الجائحة بمفردها دون أن تتعاون مع البقية، ففي ظل التعاون الدولي يربح الجميع (https://bit.ly/359aioG).

في الحقيقة، ما قاله ناي الابن يمثل شطرا كبيرا من الإجابة التي يقدمها الليبراليون حول سؤال من قبيل: لماذا يجب أن تتعاون الدول ضد جائحة كورونا؟ فالعالم الذي نعيش فيه اليوم يكاد يكون قرية واحدة، بفعل الترابط الوثيق والاعتماد المتبادل الذي يتعزّز ويتقوّى كل يوم بين كل مكوناته، وبفعل تداخل وتشابك وتعقد المصالح الدولية في كل المجالات، وبفعل تنامي تأثير العولمة التي أزاحت وأزالت الحدود الفاصلة بين ما هو محلي وما هو عالمي.

فبالعودة إلى أزمة كورونا، فإن منشأها كان دولة الصين التي تجمعها علاقات قوية ومكثفة مع كل دول العالم تقريبا، وعليه كان انتقال الفيروس منها إلى عشرات البلدان سهلا وسريعا في الوقت نفسه، فلم يعد مشكلة الصين لوحدها، بل أصبح مشكلة أمنية عالمية تتطلب التعاون والتنسيق بين جميع الدول لمواجهته والحد من انتشاره، وفي مقدمتها الولايات المتحدة

الأمريكية وبعض دول أوروبا الغربية، التي لا يمكنها أن تكون في مأمن من أخطار وتهديدات الجائحة، ما لم يتم القضاء عليه في كل العالم (https://bit.ly/2Vp2Br7).

لا شك أن فيروس كورونا يمثل في المقام الأول تهديدا للأمن الصحي العالمي، باعتبار أن الصحة أمر حيوي ومطلب أساسي للبشر في جميع أنحاء العالم. ويمكن أن تنتشر المشاكل الصحية في أي جزء من العالم في فترة قصيرة جدًا، ويكاد يكون من المستحيل منع انتشار وتفشي الأمراض الوبائية في العالم بشكل صارم، ومع ذلك، فإن القضايا والأزمات الصحية، خاصة ذات الطابع العالمي، هي أمر تتعامل معه جميع الحكومات بشكل جماعي (https://bit.ly/2Vp2Br7).

من الناحية الأخلاقية، تعتبر الاستجابة الجماعية لمواجهة التحديات التي يفرضها فيروس كورونا، الآن ومستقبلا، قضية تضامن عالمي يجب أن يكون أكبر من الجائحة نفسها (https://bit.ly/2zhPWhf). ومن الناحية العملية، لا تمثل جائحة كورونا الحالة الأولى التي سوف تختبر إمكانية تنسيق جهود الدول وتعاونها وتضامنها فيما بينها لمواجهة الجائحة، فتاريخ التعاون والتضامن بين الدول لمواجهة الأزمات والكوارث الإنسانية مليء بعشرات الأمثلة. لكن المستجد هنا، هو طبيعة الفيروس التي استعصت عن إيجاد لقاح له حتى الآن، فجائيتة، وسرعة تفشيه وانتشاره الرهيبة في العالم في زمن قصير جدا، مما فرض على الحكومات والدول ضغط كبيرا في إيجاد الحلول والأدوات لمواجهته سواء فرادى أو جماعيا.

في هذا الصدد، لا يمكن القفز على ما تبذله الأمم المتحدة وما يمكن أن تقدمه منظمة الصحة العالمية من جهود لمحاربة الأوبئة والجوائح بشكل عام. فلقد وجه الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس António Guterres بتاريخ 25 مارس 2020 نداء بقيمة ملياري دولار للدول الأعضاء لدعم خطة الاستجابة الإنسانية العالمية المنسقة لمحاربة الفيروس. والغرض من هذا البرنامج هو ضمان عدم التخلي عن أضعف سكان العالم وتركهم لوحدهم في مواجهة

الفيروس. وتستهدف خطة استجابة الأمم المتحدة، التي سيديرها مكتب منسق الشؤون الإنسانية OCHA مساعدة 51 دولة ضعيفة في جميع أنحاء أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، بحيث ستدعم الأموال عمليات الإغاثة في تسع وكالات تابعة للأمم المتحدة وشركائها من المنظمات غير الحكومية، في سعيهم لتقديم أدوات أو شرائح الاختبار الأساسية للكشف عن الإصابة بالفيروس، والإمدادات الطبية، وعمل حملات إعلامية توعوية للحد من الإصابة بالمرض، وحماية اللاجئين المعرضين للخطر والمشردين داخليًا، وتأمين طرق ووسائل إيصال عمال الإغاثة والإمدادات عند الحاجة.

وتبقى دعوة الأمين العام للأمم المتحدة مجرد خطة لمواجهة الوباء وتبعاته، وترتبط أهميتها وفائدتها بمدى تجسدها على أرض الواقع. وقد وجهت لها انتقادات حتى قبل الشروع في تجسيدها ميدانيا، فمبلغ المليارى دولار الذي رصدته لمواجهة الوباء ضعيف جدا، ولا يمكنه أن يتناسب مع حجم التهديدات والتحديات التي يواجهها سكان الدول الضعيفة والفقيرة، وهو مبلغ لا يمثل شيئا مع ما ترصده بعض دول أوروبا والولايات المتحدة لمواطنيها. بالإضافة إلى التشكيك في إمكانية أن تلتزم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بتوفير هذا المبلغ (https://on.cfr.org/3bsspZg).

من جهتها، اعتبرت منظمة الصحة العالمية، منذ العام 2007، أن "مصطلح الأمن الصحي العالمي يعد مرادفًا للإنذار بحدوث الأوبئة والاستجابة له. وأصبح يعني ذلك، إلى جانب معالجة الصحة بوصفها قضية دولية، التعامل معها بوصفها مسألة أمنية، بما يفرض استجابات جماعية وتضامنية للتهديدات الأمنية، سواء كانت ذات طابع بيولوجي (تفشٍّ متعمد للأوبئة) أو ناجمة عن انتشار الجائحات العالمية (تفشٍّ طبيعي للأوبئة)" (زكاوي، ص 2).

وفي مؤتمر صحفي عقده يوم الأربعاء 8 أفريل 2020، حدد رئيس منظمة الصحة العالمية خمس طرق تقود بها المنظمة جهود الاستجابة العالمية لمكافحة الفيروس (https://bit.ly/3b6qJDB):

الأولى: مساعدة الدول على الاستعداد والاستجابة: حيث أصدرت المنظمة خطة التأهب والاستجابة الإستراتيجية التي تحدد الإجراءات الواجب اتباعها من طرف الدول، خاصة المتخلفة والفقيرة منها، للحد من انتشار الفيروس، وكذلك الموارد اللازمة لتنفيذها.

الثانية: تقديم معلومات صحيحة ودقيقة، وتفنيد الشائعات والأخبار المضللة حيث تضطلع المنظمة بمهمة إعطاء إرشادات دقيقة ومفيدة يمكن أن تساعد في محاربة الفيروس أو في الوقاية منه. وقد أصدرت دليلا يتضمن حوالي 50 نصيحة تقنية موجهة للأفراد ولعمال الصحة في مختلف البلدان في كيفيات التعاطي مع الوباء.

الثالثة: ضمان وصول الإمدادات الحيوية إلى عمال الصحة المتواجدين في الخطوط الأمامية: حيث قامت المنظمة بشحن أكثر من مليوني قطعة من معدات الحماية الطبية الشخصية إلى 133 دولة، وتم إرسال أكثر من مليون اختبار تشخيصي إلى 126 دولة.

الرابعة: تدريب وتعبئة عمال الصحة: تعمل المنظمة، من خلال منصتها Open WHO التي تتضمن دورات ومواد تفاعلية عبر الإنترنت تخص فيروس كورونا، على تدريب الملايين من عمال الصحة على كيفيات التعامل مع المصابين بالفيروس لإنقاذ أرواحهم.

الخامسة: البحث عن لقاح: قامت المنظمة بجمع حوالي 400 من كبار العلماء والباحثين في العالم في شهر فيفري لتحديد أولويات البحث فيما يتعلق بإيجاد لقاح للفيروس. وأطلقت "تجربة تضامن"، وهي تجربة سريرية دولية، تضم 90 دولة، للمساعدة في العثور على علاج فعال. والهدف هو اكتشاف ما إذا كانت أي أدوية موجودة يمكن أن تبطئ تقدم المرض أو تحسن البقاء على قيد الحياة. كما قامت المنظمة بتطوير بروتوكولات البحث التي يتم استخدامها، بطريقة منسقة، في أكثر من 40 دولة. وقد وقع حوالي 130 عالما وممولا ومصنعا من جميع أنحاء العالم على بيان التزام بالعمل مع منظمة الصحة العالمية لتسريع تطوير لقاح ضد فيروس كورونا.

رغم الجهود التي بذلتها منظمة الصحة العالمية في احتواء الفيروس، إلا أن العديد من الانتقادات والاتهامات قد طالتها، منها عدم قدرة المنظمة على حيازة المعلومات اللازمة والآنية بشأن ظهور وتفشي الفيروس في الصين وانتشاره خارجها. كما أنه ليس في لوائح المنظمة ما ينص على كيفية تعاونها مع البلدان التي قد تشهد انتشارا للأمراض والأوبئة، ذلك أن المنظمة مصممة لتعمل بوصفها سلطة توجيه فحسب، وهذا ما يجعل منها مجرد متلق للتقارير والإحصائيات التي تقدمها الحكومات دون القدرة على نقدها أو مساءلتها (زكاوي، ص 8).

بالنسبة لمبادرات التعاون والتضامن الدوليين التي تقودها الدول، حاولت الصين تقديم مساعدات للعديد من الدول المتضررة، حيث أنه بتاريخ 12 مارس 2020 هبطت طائرة صينية في روما، على متنها تسعة خبراء في مجال الصحة العامة، ومحملة بـ 31 طنًا من الإمدادات الطبية بما فيها وحدة العناية المركزة، ومعدات الحماية الطبية، والأدوية المضادة للفيروسات. كما أرسلت الصين مساعدات طبية إلى إسبانيا وصربيا والعديد من الدول المتضررة من وباء الفيروس. ولقد وصف مدير منظمة الصحة العالمية التعاون الصيني الإيطالي بأنه "مثال مثلج للصدر على أواصر التضامن". غير أن بعض التفسيرات قد ذهبت إلى أن ما قامت به الصين يندرج في إطار "دبلوماسية المساعدات الطبية"، التي تسعى من خلالها الصين إلى نفي مسؤوليتها عن انتشار الفيروس عالمياً وتحسين صورتها داخليا وخارجيا (يونس، 2020، ص15).

وبالنسبة للتنسيق والتعاون بين دول الإتحاد الأوروبي لمواجهة الجائحة، فلقد جاءت ردود فعل الدول واستجابتها مخالفة للتوقعات، ولما كان منتظرا أن يقوم به الإتحاد الأوروبي ويتبناه كخيارات وسياسات. لقد كشفت الجائحة عن فشل دول الإتحاد في منع تفشي وانتشار المرض على أراضيها، رغم الإمكانات التي تملكها في مجال الرعاية الصحية. وكشفت كذلك عن الكيفية التي تتصرف بها دول الإتحاد حينما تواجه أزمة عالية المخاطر في زمن قصير (وحدة الدراسات السياسية، 2020، ص10).

لقد صرح ممثل إيطاليا الدائم لدى الاتحاد الأوروبي، ماوريتسيو ماساري قائلا: "لقد طلبنا إمدادات المعدات الطبية، وأحالت المفوضية الأوروبية الاستئناف إلى الدول الأعضاء، لكن ذلك لم يلق أي استجابة... إن أزمة فيروس كورونا شبيهة بأزمة اللاجئين، فالبلدان التي لم تتأثر على الفور ليست في الغالب على استعداد لتقديم المساعدة. ومن الواضح أن لدى هذه الدول تصورات مختلفة بشأن التهديد القائم. نحن نشعر أن فيروس كورونا يمثل تهديدًا عالميا وأوروبيا يحتاج إلى استجابة أوروبية، لكن الدول الأخرى لا ترى ذلك بهذه الطريقة" (وحدة الدراسات السياسية، ص23). ويكشف هذا التصريح عن عمق الأزمة التي يعيشها الإتحاد الأوروبي في كيفية تصوره وإدارته للجائحة، حيث قدمت إليزابيث براو Elizabeth Brow مديرة مشروع الردع الحديث في المعهد الملكي للخدمات المتحدة، نقدا لاذعا لدول الاتحاد الأوروبي قائلة: "بتنازلها المخزي عن المسؤولية، فشلت في تقديم المساعدة الطبية والإمدادات لإيطاليا أثناء تفشي المرض، والآن الصين تملأ ذلك الفراغ" (الشرقاوي، الجزء الأول، ص3).

أبرز عدد من الملاحظين والمتابعين لجائحة كورونا وكيفيات تعامل الدول معها، أن هناك بعض الأسباب التي حالت أن يكون التنسيق والتضامن والتعاون الدولي في المستوى المطلوب، منها التراشق وتبادل الاتهامات الذي حدث بين الصين والولايات المتحدة حول منشأ الفيروس، حيث زعم المتحدث باسم الخارجية الصينية، تشاو لي جيان، أن "الجيش الأمريكي جلب فيروس كورونا إلى مدينة ووهان" التي ظهر بها أول مرة، فيما استخدم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عبارة "الفيروس الصيني" (زكاوي، ص8).

والبعض، وجه سهام النقد للعولمة ولدرجة الاعتماد المتبادل بين الدول، اللتين جعلتا من الدول أكثر انكشافا في مواجهة الأخطار والتهديدات الأمنية المشتركة، ومنها الوبائية الفيروسية، ولم تزودانها في الوقت نفسه، بأدوات وآليات فعالة لمواجهة هذه الأخطار والتهديدات (يونس، ص9).

بينما ذهب آخرون إلى أن ضعف التعاون الدولي قد بدأ من مجال التنسيق وتبادل المعلومات حول الوباء، حيث وجهت لوكريسيا بوغيتي Lucrezia Poggeti، محللة العلاقات بين الاتحاد الأوروبي والصين في معهد ميركاتور لدراسات الصين، الاتهام واللوم إلى الحكومة الصينية، قائلة: "الحزب الشيوعي قام بتضييق الخناق على المعلومات التي تم تبادلها حول الوباء، وأرسل أكثر من 300 شخص لإنتاج وترويج قصص إخبارية إيجابية حول الصين وتعاملها مع تفشي المرض" (الشرقاوي، الجزء الثاني، ص13).

ثالثا: الواقعية وسياسات الانكفاء على الذات، تعامل الدول مع كورونا أنموذجا

دائما ما يقدم الواقعيون مثال "صيد الأيل والأرنب" الشهير لشرح مأزق التعاون في العلاقات الدولية، حيث تميل الدول إلى اتباع سياسات انفرادية تضمن لها الحصول على الأرنب كله، بدل التفكير في السياسات الجماعية التي تجعلها تتقاسم الأيل مع بقية الدول الأخرى وتجبرها على الدخول في لعبة تقاسم الحصص ودفع تكاليف الصيد. وقبل ذلك، يجادل الواقعيون أن الدول، بحكم طبيعة تكوينها والبيئة الخارجية التي تعيش فيها، دائما ما تقودها أنانياتها ومصالحها الخاصة إلى تبني خيارات وسلوكيات أقل تعاونية مع الآخرين، بل ويمكن أن تكون تصادمية، والخبرة الواقعية تشهد وتدلل على ذلك. وعليه، تمثل جائحة كورونا مثالا جيدا لاختبار فرضيات ومقولات الواقعيين في أنماط الاستجابات الدولية المتوقعة والمفترضة لمواجهة الجائحة.

قدم ستيفن والت Stephen M. Walt إجابة مختلفة عن تلك التي قدمها جوزيف ناي الإبن عن السؤال السابق: كيف سيكون شكل العالم بعد نهاية كورونا؟ الذي طرحته مجلة "فورين بوليسي". يجادل والت، بناء على خلفيته الفكرية وقناعاته النظرية الواقعية، بأن جائحة كورونا ستقوي من دور الدولة القطرية على المستوى الداخلي، وستعزز تنامي النزعة القومية على المستوى الدولي. ستتبنى حكومات الدول قرارات وإجراءات توسع من صلاحياتها من أجل احتواء الفيروس والقضاء عليه، وسوف يكون من الصعب التخلي عنها بعد نهاية الجائحة. واستنادا إلى خبرات التاريخ، فإن الجوائح السابقة التي عرفتها البشرية، وعلى رأسها أنفلونزا إسبانيا 1918 -1919، لم تنه التنافس بين

القوى العظمى، ولم تؤسس لحقبة جديدة من التعاون الدولي، ولم تغير من الطبيعة الجوهرية للسياسة الدولية، وعليه ففيروس كورونا لن يمثل الإستثناء هنا (https://bit.ly/359aioG). والحقيقة أن الكثير من أحداث الواقع فيما يتعلق باستجابات وتعامل الدول مع جائحة كورونا تسند ما ذهب إليه ستيفن والت.

ففي نيويورك، أمر رئيس البلدية أصحاب الحانات والمطاعم المحلية بإغلاق أبوابها في مسعى أخير لوقف انتشار الفيروس، وكتب في رسالة وجهها إلى مواطنيه يقول: "يجب أن نرد بعقلية الحرب". وفي فرنسا خاطب الرئيس ماكرون مواطنيه يقول: "نحن في حالة حرب، نحن لسنا في حالة مواجهة مع جيش آخر أو دولة أخرى، لكن العدو موجود هناك، هو غير مرئي، وصعب الاقتناص، لكنه يحرز تقدما" (الشرقاوي، الجزء الثاني، ص4). وأجبر الفيروس الدول على أن تتعامل معه وأن تحاربه بأسلحة غير تقليدية، تمثلت في الكمامات وآلات الفحص الطبي، وأجهزة التنفس الصناعي، وصار الجنود المقاتلون هم الأطباء والممرضون وسائقو عربات الإسعاف (التيجاني، 2020، ص66).

قاد هذا الوضع الجديد، غير المألوف وغير المختبر من قبل، إلى انكفاء الدول على نفسها واهتمامها بمحاربة الفيروس والتخفيف من آثاره على أراضيها أولا، فمنطق "الدفاع ضد التهديد" يقتضي أن كل دولة مسؤولة أمام مواطنيها بالدرجة الأولى، وبالتالي فإن الدول سوف تعطي الأولوية والأسبقية لصالح الإستجابات الوطنية في مقابل الإستجابات الدولية، وستسخر كل قدراتها ومواردها المادية والبشرية لهذا الغرض (ترفرتون، نيميث، سرينيفاسان، ص9).

لقد جرت عملية أمننة للفيروس على نطاق واسع في أغلب الدول التي عرفت انتشارا واسعا له، معززة بذلك من حضور الدولة وتدخليتها في إدارة الشؤون الداخلية بدعوى محاربة الفيروس، باعتبارها الأكثر قدرة وكفاءة في التعامل مع الأزمات الكبرى التي تهدد بقاء المجتمعات والشعوب، بالمقارنة مع ما يمكن أن تقدمه آليات التعاون الدولي التي كانت غائبة أو قليلة الفعالية

والتأثير في هذه السياقات. ولقد أثبت واقع التعامل مع الجائحة أن منطق "كل أمة لنفسها" قد تسيد المشهد، على الرغم من بعض مبادرات التعاون الدولي وتقديم المساعدات للدول الأكثر تأثراً بالأزمة، وأن الدول القوية كانت الأكثر قدرة على التعامل بنجاح مع إدارة أزمة الفيروس والتخفيف من حدتها (يونس، ص15).

إن توجه كل دولة إلى تعزيز وتقوية قدراتها وإمكاناتها الداخلية وتجنيد مواردها البشرية، بما في ذلك العسكرية، لمواجهة الفيروس قد أدى إلى انخفاض وتيرة التعاون الدولي، وأثبت أن الدول، بما فيها الكبرى والمتقدمة، ليست مستعدة للتعاون مع الدول الموبوءة حينما تكون هي نفسها تعاني من الوباء وتبعاته، وعليه فقد انشغلت الدول، تحت تأثير مبدأ الإعتماد على الذات، بالتنافس على الموارد خاصة ما تعلق منها بالمواد والأدوات الطبية، وتبنت سياسات تحقيق الإكتفاء الذاتي فيها، عن طريق زيادة الإنتاج ومنع تصدير هذه المنتجات (زكاوي، ص9). بل بلغ التنافس بين الدول أحيانا حد اندلاع صراع بينها على هذه المواد، وكأنها، بتعبير توماس هوبز، "حرب الجميع ضد الجميع" قد عادت من جديد.

لقد فرضت الجائحة على غالبية الدول نوعا من "العزلة البيولوجية" Biological Isolation بداية من عزل الأقاليم التي انتشر فيها الوباء أولا، كما حدث مع مدينة ووهان الصينية مثلا، ثم الإنتقال إلى تعميم العزل ليشمل كامل الدولة مثلما حدث مع الصين ومع العديد من الدول في العالم، خاصة في أوروبا (إيطاليا، إسبانيا، وفرنسا). وسوف تؤدي هذه العزلة البيولوجية الإجبارية والمفروضة على الدول، إذا ما استمرت بشكلها الحالي لمدة طويلة، إلى أن تحافظ كل دولة على مسافة فاصلة بينها وبين بقية الدول، وأن تُقِلَّ من انخراطها في السياسة الدولية، مركزة بالدرجة الأولى على ما تقتضيه مصالحها القومية وفقط (يونس، ص9).

ويتجلى تأثير وانعكاس جائحة كورونا على العلاقات الدولية، وكيفية استجابة وتعامل الدول معها بوضوح أكثر في حالة دول الإتحاد الأوروبي، حيث

دائما ما اعتبر الحالة المرجعية التي يتكئ عليها الليبراليون في اختبار فرضياتهم ومقولاتهم المتعلقة بعمليات التعاون والتكامل الدوليين. إلا أن الواقعيين، هذه المرة، هم من سيختبرون مقولاتهم وفرضياتهم على ضوء أنماط الإستجابات التي أبدتها دول الإتحاد اتجاه الجائحة.

ودون العودة إلى ما ذكر في ثنايا هذه الدراسة حول إجراءات العزل الدولي والانكفاء على الذات وتبني السياسات الانفرادية في التصدي لأزمة الفيروس ... التي تبنتها جميع الدول بما فيها دول الإتحاد الأوروبي، فإن تعامل هذه الأخيرة مع الوباء ككتلة واحدة تسودها روح التضامن والتعاون قد عرى حقيقة مستوى التكامل الذي بلغته دول الإتحاد. يؤكد ذلك كيفية التعامل مع الوباء في بدايات انتشاره في كل من إيطاليا وإسبانيا اللتين وجدتا نفسيهما وحيدتين في مواجهته، حيث صرح المندوب الإيطالي الدائم لدى الاتحاد الأوروبي ماوريتسيو ماساري قائلا: "لقد طلبنا إمدادات المعدات الطبية، وأحالت المفوضية الأوروبية الإستئناف إلى الدول الأعضاء، لكن ذلك لم يلق أي استجابة" (الشرقاوي، الجزء الثاني، ص2).

لقد كشفت الجائحة أن مؤسسات الإتحاد الأوروبي مصممة على العمل في الظروف العادية، أين يكون أمام مؤسسات الإتحاد وحكومات دوله فرصة ومتسع من الوقت لتحديد الأهداف ورسم الخطط ورصد ميزانيات التنفيذ. لكن في الظروف الاستثنائية، وأمام مخاطر التهديد العالية، وقلة الوقت المتاح للتصرف، فإن الدول تعود إلى واقعيتها التي تفرض عليها التزام مسؤوليتها التاريخية والأخلاقية أمام مواطنيها فقط، والتوقف عند حدودها الجغرافية.

في النهاية، كشفت جائحة كورونا أن العالم لم يكن مستعدا، ولم ينضج بعد، لمواجهتها ككتلة واحدة، ولا أدل على ذلك من فشل محاولات بناء رؤية وسياسة دولية جماعية لمواجهة الجائحة وتبعاتها، حيث منيت مبادرات مجموعة الدول السبع الأكثر تصنيعا (G7) ومجموعة العشرين (G20) بالفشل في الوصول إلى اتفاق جماعي لمحاربة الفيروس وتبعاته، خاصة في المجال الإقتصادي. يؤكد ستيورات باتريك Stewart M. Patrick أن تسييس قضية

الفيروس، خاصة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية، كان السبب الرئيسي في فشل المبادرات السابقة، حيث كان هناك بصيص أمل، في مبادرة مجموعة السبع التي عقدت في شهر أفريل بتقنية التحاضر عن بعد، إلا أن الجهود المبذولة لإصدار بيان مشترك قد فشلت، بسبب إصرار الولايات المتحدة على أن تتبنى الوثيقة تسمية "فيروس ووهان" ولوم الصين على انتشاره، وانتهت بإصدار كل دولة لبيانها الخاص (http://on.cfr.org/3bsspZg).

وبالنسبة لقمة العشرين (G20)، فلقد كان البيان المشترك واسعًا وغامضًا، بحيث تعهد الأعضاء بالقيام "بكل ما يلزم" لتقليل التداعيات الاجتماعية والاقتصادية للوباء، وعبروا عن ضرورة التعاون المتعدد الأطراف لمواجهة تبعاته، وذلك من خلال تعزيز قدرات منظمة الصحة العالمية، وتسريع البحث والتطوير بشأن اللقاحات وإنتاج المعدات الطبية الأساسية، وتعزيز شبكات الأمان العالمية، لكن بعيداً عن هذه التعميمات، كانت الوثيقة خالية من الالتزامات المحددة. بل وتم استغلال القمة في إثارة بعض الخلافات بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، حيث استخدم الرئيس الصيني "شي جين بينغ" الوقت الذي أعطي له للحديث عن سياسة الحمائية التجارية التي تتبعها الولايات الأمريكية بوصفها العائق الرئيسي أمام النمو الاقتصادي العالمي (http://on.cfr.org/3bsspZg).

خاتمة:

حتى كتابة الأسطر الأخيرة من هذه الدراسة، وأرقام الإصابات والوفيات جراء فيروس كوفيد 19 في ارتفاع وتزايد مستمر في أغلب دول العالم، ولا تزال سياسات الحجر الصحي وما يستتبعها من إجراءات وسيلة الدول المثلى في محاصرة الفيروس ومنع انتشاره. أما على المستوى الخارجي فقد تبنت كل دولة سياسة العزلة الذاتية والإبقاء على الحد الأدنى من التواصل مع غيرها من الدول. لم يعد الفيروس صينيا ولا أمريكيا، وإنما أصبح جائحة عالمية غير مسبوقة على الأقل منذ 100 عام، مما فرض أنماط استجابات دولية غير متوقعة لمواجهته والتعامل معه.

مَثّل اعتماد كل دولة على قدراتها وإمكاناتها الداخلية وخبراتها في مواجهة الأوبئة والأزمات التي تخلفها، النمط الأول من الإستجابة، والذي تبنته غالبية الدول بما فيها الدول الكبرى والمتقدمة، بل وحتى دول الإتحاد الأوروبي، التي كان ينظر إليها على أنها مثال التعاون والتكامل وتنسيق الجهود في التصدي للأزمات التي تواجهها. وقد كان هذا مفهوما ومبررا من وجهة نظر واقعية، ذلك أن الدول بطبيعة تكوينها تراهن على مصلحتها القومية وتفعل كل ما يتوجب لتحقيقها، وفي حالة التهديد الهائل الذي مثله فيروس كورونا والتبعات التي انجرت عنه، خاصة في مجالي الصحة والاقتصاد، لم يكن أمام الدول إلا أن تتكفئ على نفسها لمواجهة الوباء. لذلك شهدنا عودة النزعة القومية، وسياسات الانعزالية، والتنافس للحصول على المعدات الطبية ولو بالاستيلاء والقرصنة.

لكن النمط الثاني من استجابات الدول، والمتمثل في تنسيق الجهود والتعاون والتضامن من أجل مساعدة الدول الأكثر تضررا والدول الأقل قدرة وإمكانات في مواجهة الجائحة، كان له أيضا نصيب من الوجود، فرضه حرص مؤسسات دولية، كالأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية وغيرهما، على أن يكون العمل الجماعي في مواجهة الأخطار والتهديدات العالمية في المستوى المطلوب، ورغم كل النقائص المصاحب للجهود التي تبذلها هذه المؤسسات، إلا

أنها تطمح دائما في تحسين أدائها انطلاقا من الخبرات والمهارات التي تُحصلها من مختلف التجارب التي تمر بها.

قائمة المراجع:

أخبار الأمم المتحدة (2020)، خمسة أسباب تؤكد حاجة العالم إلى منظمة الصحة العالمية في جهود مكافحة جائحة كوفيد -19، https://bit.ly/3b6qJDB، 2020/05/02.

ترفرتون غريغوري، نيميث إريك، سرينيفاسان سيندوجا (2012)، "تهديدات من غير مهددين؟ استكشاف نقاط التقاطع بين التهديدات ضد المشاعات العالمية والأمن القومي"، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة RAND.

التيجاني عبد القادر حامد (2020)، "العلوم السياسية: مرحلة ما بعد كورونا"، في: أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الإجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية.

التير مصطفى عمر (2020)، "أسئلة بحثية تطرحها جائحة كورونا على علماء الإجتماع"، في: أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الإجتماع والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، قطر: مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية.

الشرقاوي محمد (2020)، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية، الجزء الأول، مركز الجزيرة للدراسات، https://bit.ly/3aCAwRD، 2020/04/24.

الشرقاوي محمد (2020)، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية، الجزء الثاني، مركز الجزيرة للدراسات، https://bit.ly/2S3EsEw، 2020/04/24.

زكاوي نبيل (2020)، "أزمة كورونا العالمية: حدث وبائي يقلد هجوما بيولوجيا"، سلسلة تحليل سياسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، https://bit.ly/2KApWjt، 2020/04/26.

الشرفات سعود (2020)، العلاقات الدولية وعالم "ما بعد" وباء كورونا، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، https://bit.ly/359aioG، 2020/04/28.

مجدوبي حسين (2020)، "اتهامات المؤامرة بشأن نشأة كورونا فيروس تحتد بين الصين والغرب وتدشن الحرب الباردة بينهما"، القدس العربي، https://bit.ly/35mxiAB، 2020/04/30.

وحدة الدراسات السياسية (2020)، وباء فيروس كورونا المستجد: نماذج من استجابات الدول للوباء وتداعياته على الإقتصاد العالمي، تقرير رقم 02، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، https://bit.ly/3cM0gMO، 2020/5/3.

يونس محمد عبد الله (2020)، كيف ترسم المفاهيم المتداولة ملامح "عالم ما بعد كورونا"؟ دراسات خاصة، العدد الثاني، https://bit.ly/3cPzFi3 ، 2020/04/27.

Muhittin Ataman (2020), Corona virus: A Human Security Issue, Daily Sabah, https://bit.ly/2Vp2Br7, 17/04/2020.

Patrick Stewart M (2020), The Multilateral System Still Cannot Get Its Act Together on covid-19, Council on Foreign Relations, https://on.cfr.org/3bsspZg, 20/04/2020.

Schmeier Susanne and al (2020), The Coronavirus Pandemic Will Impact Global Security: The Water, Peace and Security Partnership can help address these threats, WPS, https://bit.ly/2XP4QWs, 17/04/2020.

Scott Rachel, Could Coronavirus lead to a “positive peace”?, https://bit.ly/2zhPWhf, 17/04/2020.

Shani Giorgio (2020), Securitizing ‘Bare Life’? Human Security and Coronavirus, https://bit.ly/2StsYdA, 17/04/2020.

Worldmeter, Covid-19 Coronavirus Pandemic, https://bit.ly/3aQE9Ds, 21/10/2020.